الفصل الرّابع

المخارج الصّوتيّة عند علماء العربية القدماء والمحدثين.

لـيس بخـافٍ علـى أحـدٍ أنّ دراسـة مخـارج الأصـوات اللغويـة مـن أهـم الموضـوعات التـي يبحـث فيهـا علـم الأصـوات بشـكل عـام والصـوتيات النطقيـة (Phonétique Articulatoire)بشكل خاص ،إذ كان لعلماء العربية القدماء عناية بالغة بهذا الحقل المعرفي ،فبيّنوا مخارج الأصوات وحدّدوا صفاتها وموقعياتها وتآلفها في بنية الكلمة العربية ،لذا ليس عجيباً أن يعتبر هؤلاء العلماء الصوتيات من أهم الموضوعات التي يُعتمد عليها في ضبط النطق السليم للقرآن الكريم خاصة. فقد أصبح واضحا أن عناية العرب بالمستوى الصوتي إنما « يرجع السبب في هذه العناية باللغة إلى أن القرآن الكريم والحديث الشريف قد دوّنا به .وهما أصلا الدين والملّة فخشى تناسيهما وإغلاق الإفهام عنهما، لفقدان اللسان الذي نزلا به، فاحتيج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه »[167]

ولنا في الإرهاصات الأولية لبداية الاهتمام بعلم الأصوات لدى الرعيل الأول الأمثلة العديدة على ذلك ،خاصة صنيع أبي الأسود الدؤلي ، ومن الروايات التي تؤكد –مما لا يدع مجالا للشك- قوله لكاتبه، وهو نص يحمل جوانب دلالية عديدة : «إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه، فإن ضممت فمي، فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف . وإن اتبعت شيئا من ذلك غنّة،فاجعل مكان النقطة نقطتين»[168].ولقد حظي علم الأصوات كذلك بعناية كبيرة من قبل الدارسين المحدثين خاصةً في ظل المبتكرات والوسائل العلمية والتقنيات الحديثة التي ساعدتهم في تقديم دراسات علميةٍ وموضوعية للصوت اللغوي.

إنّ الجانب الصوتي هو الأول والأهم كما نعتقد وهو قطب الرحى والنقطة المركزية في دراسة المستويات اللسانية الأخرى، ويدور حوله جلّ الدراسات اللسانية المعاصرة، ذلك أن معرفتنا للبنى النظامية لحركية الأصوات في اللغة العربية أمر لابد منه لأنه يلزم الباحث لاستقصاء هذه البنى، فينطلق هذا الباحث من القاعدة الصوتية الفيزيولوجية المشتركة بين جميع الناس الذين يتكلمون اللغة فينتجون كلاما عن طريق الجهاز النطقي الفيزيولوجي، هذا الجهاز قادر على صياغة الأصوات البشرية انطلاقا من أقصى الحلق إلى الشفتين .وتظهر من ذلك الصفات الفيزيائية والفيزيولوجية للأصوات التي هي قاسم مشترك بين اللغات .فلكل صوت موقعٌ أو موضع أو مخرج أو مجرى أو حيز والمخرج تسمية مجازية ،ذلك أنّ الخليل بن أحمد عدّهامدرجاً وموضعاً ،وسماها سيبويه مخارج الحروف وسماها ابن جني المقاطع ،وسماها ابن دريد مجاري الحروف ،وسماها الطبيب ابن سينا المحابس،لكن مصطلح المخرج «من أكثر المصطلحات شيوعاً في تراثنا اللغوي

---

[167]-محمد عيد" الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون "،عالم الكتب، القاهرة، 1979. ص110

[168] -الزبيدي" طبقات النحويين" ،ص21

،وقد كان الأقدمون يعبرون عنه بعدّة معان منها المخرج والحيز والمبدأ والمدرج والمجرى والموضع والمحبس»[169]

إنّ المخرج يتحدد وفق ظاهرة فيزيولوجية عضوية ،فالنفس (souffle)الصاعد عبر الممر الصوتي قد يعترض سبيله عائق فيمنعه من الجريان جزئياً أو كلياً فالموضع الذي يحدث فيه اعتراض مجرى الهواء أثناء محاولة خروجه منه يسمى مخرجاً ،ومن هنا تشير كلمة المخرج إلى نقطة حدوث الصوت وموقع وجوده في موضع من مواضع الجهاز النطقي ،فالنفس الصاعد من الرئتين ،ومار في القصبة الهوائية ـوفي أعلاها يتوقف عند فتحة الحنجرة وذلك بفعل الانغلاق الجزئي أو الكلي للمجرى التنفسي.فالصوت المدرّك الذي أصله- في الحقيقة- نفس ينشأ ويتميّز تبعاً لموضع الحدوث والإنشاء والتكوين ،لذا فإن التمييز بين « أصوات اللغة يعتمد على استمرار الصوت ودرجة إسماعه وقوّة إنتاجه وفوق كل هذا على المخرج وكلمة المخرج تشير إلى النقطة المحددة في الجهاز النطقي التي يتم فيها تعديل وضعه . »[170]

مخارج الأصوات عند علماء العربية :إنّ المخرج هو الموضع الذي يحدث فيه الصوت وعدد هذه المخارج ليست مضبوطةً عدّاً ،بالنظر إلى الاختلاف الحاصل بين العلماء والدارسين في هذه الميدان « والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها . »[171]إذ يجب أن يكون عدد المخارج في اللسان العربي تسعة وعشرين مخرجاً ،فيكون بذلك مساوياً لعدد الصوامت في العربية ،فحينئذ يكون لكل صامت مخرجه الخاص به.رغم أنّ علماء العربية القدماء قد اختلفوا في عدد الحروف الأصول ومخارجها وهي عند أغلب العلماء العرب تسعة وعشرون حرفاً،وعدّها البعض الآخر ثمانية وعشرون حرفاً .ومن هؤلاء أبو العباس المبرد ،وقد اعتبر ابن عصفور هذا المنحى فاسداً ،فقال : «إنّ الذي ذهب إليه أبو العباس فاسد ،،لأن الهمزة لو لم تكن حرفاً لكان (أخذ) و (أكل) وأمثالهما على حرفين ،وهذا باطل لأنّ أقلّ أصول الكلمة ثلاثة أحرف :فاء،عين ولام. »[172]

ولقد أشار ابن الجزري إلى هذا البون بين العلماء في حصر المخارج بقوله «أما مخارج الحروف فقد اختلفوا في عددها ،فالصحيح المختار عندنا ومن تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد ،ومكي بن أبي طالب وأبي القاسم الهذلي ،وأبي الحسن

---

[169] -ينظر الخليل بن أحمد 'العين '51/1،سيبويه 'الكتاب '404/1،ابن جني 'سر صناعة الإعراب 52/1،ابن دريد جمهرة اللغة 45/1

[170] - ماريو باي 'أسس علم اللغة' ،ص 78

[171] - الجاحظ 'البيان والتبيين ' ،ج1 ،ص31

[172] -ابن عصفور 'الممتع في التّصريف' ،363/2

شريح وغيرهم سبعة عشر مخرجاً ،وهذا الرأي يظهر من حيث الاختيار وهو الذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف. »[173]

ومن ثم قال ابن الجزري بعد ذلك في منظومته (المقدمة في ما على قارئ القرآن أن يعلمه)[174]:

مخارجُ الحروفِ سبعةَ عَشَرَ على الذي يختارُهُ مَنِ اخْتَبَرَ
فألفُ الجَوْفِ وأُخْتَاهَا وَهِي حروفُ مَدٍّ للهواءِ تَنْتَهِي
ثُمَّ لأقصى الحَلْقِ همزٌ هاءُ ثم لوَسْطِهِ فعينٌ حَاءُ
أدْنَاهُ غينٌ خاؤُها أقصى اللسانِ فَوْقُ ثُمَّ
والقافُ الكافُ

منهجية الخليل بن أحمد الفراهيدي في الدرس الصّوتي :

لقد أخذت دراسة الصوت اللغوي اتجاهات متعددة.فأصحاب المعاجم هم أقدم من تحدث عن الصّوتيات من العرب، فالمتأمل لمعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) يدرك أنه من أهم المصنفات في الدراسات الصوتية،بل النواة الأولى للمعجم العربي ،ومن خلال ذلك يعتبر الخليل بحق وبدون منازع أوّل من صنف معجماً جديراً بهذا الاسم لأنه جمع ألفاظ اللغة وشرح معانيها ورتبها ترتيبا علميا محكما.[175]

إن الباحث حين يدقق النظر في مقدمة معجم " العين " يدرك تمام الإدراك أن الرجل كان على معرفة علمية جدّ دقيقة بالأصوات اللغوية العربية بل أنّ المسار المعجمي بعد الخليل لم يخرج عن الرؤى التي قدمها صاحب "العين " ،وحسبنا دليلا على ذلك (البارع للقالي، وتهذيب اللغة للأزهري والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد وغيرهم). يقول إبراهيم أنيس عن هذا العالم « كان علماً من أعلام اللغة، ضرب بسهم وافر في نواح عدة من الدراسات اللغوية، فهو كما يقولون مسؤول عن

---

[173] - ابن الجزري ' النشر في القراءات العشر' ،مراجعة علي محمد الطباع ،دار الفكر (دط) ،ص 198

[174] -منظومة المقدمة ،ص1

[175] -ينظر :أمجد الطرابلسي " نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب" دار قرطبة للطباعة والنشر ،ط5،1976 ،ص 22

أول معجم عربي (العين)، وهو واضع علم العروض وأوزان الشعر وهو المؤلف في الموسيقى وصاحب الأبحاث المستفيضة التي جاءت في كتاب سيبويه» [176].

لم يسلم معجم العين من التشكيك ،فقد عرض حسام النعيمي بعض الآراء المشككة في نسبة الكتاب للخليل وانتهى إلى قوله« وبعد أن عرضنا لكل تلك الآراء نجد أنفسنا مقتنعين بصحة نسبة الكتاب للخليل بن أحمد، ولكننا مع هذا لا ننفي مجهود الليث فيه كلية إذ هو الراوي الأول للكتاب، بل ومخرجه أيضا، وليس الاعتراف بمجهود الليث يعني نسبة الكتاب إليه»[177] رغم عدم اقتناع النعيمي بالآراء ومناقشات العلماء، ولا ينكر ابن فارس إسناد وضع علم العربية لأبي الأسود الدؤلي، نظرا لتواتر الروايات في ذلك رغم الاختلاف بينها، أو إسناد استنباط العروض للخليل « إن هذين العلمين قد كانا قديما وأتت عليهما الأيام، وقلا في أيدي الناس، ثم جددهما هذان الإمامان »[178]

لقد أراد هؤلاء المشّككون والمنكرون *أن يبخسوا الرجل حقه ،وأنّه كان مسبوقاً في عمله من قبل بعض الأمم كاليونان والهند ،فإنّه من الحق « أن نذكر أنه لم يكن مقلّدا أحدا أو ناهجا على طريق سابق ،بل كان مبتكرا ومخترعا في الفكرة والمنهج والترتيب ،ومعجمه معجم حق ،أما المعاجم التي عرفت في اليونان والصين وعند الآشوريين فتعد معاجم خاصة لا عامة وماكان شبه عام لايصل إلى مرتبة كتاب الخليل ،وفوق هذا لم يقصد أحد من مؤلفي تلك المعجمات –باستثناء الصين- إلى حصر اللغة وشرح كل ما استطاع من مفرداتها كما صنع الخليل. »[179]

ويكفيه –في رأينا- هذه الشهادة التي تنزل الرجل منزلته ،فقد كان« أزهد النّاس ،وأعلاهم نفسا ،وأشدهم تعففا ،ولقد كان المملوك يقصدونه ويتعرضون له

---

[176] إبراهيم أنيس 'الأصوات اللغوية' ،ص105 -

[177]- حسام النعيمي "الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني،دار الرشيد للنشر، العراق1980،ص52

[178]- أحمد بن فارس "الصاحبي في فقه اللغة "تح دمصطفى الشويمي،ط1963مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص38

* لقد أنكر العديد من علماء اللغة نسبة معجم العين للخليل ،ومنهم : الأزهري ،ابن فارس ،ابن جني ،القالي وابن النديم ،وقال هذا الأخير :" لم يرو هذا الكتاب عن الخليل أحد ،ولا روى في شيء من الأخبار أنه عمل هذا البتة" ،ينظر : الفهرست ،ص 46

[179] -عبد الغفور عطار" مقدمة تاج اللغة وصحاح العربية" ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،ط3 ،1984 ،ص 49

لينال منهم ،ولم يكن يفعل ،وكان يعيش من بستان له خلفه عليه أبوه بالخربة(...) وكان يحج سنة ويغزو سنة إلى أن جاءه الموت. »[180]

إن المتصفح لمقدمته في هذا المعجم سيبهر بالطريقة العلمية التي تناول بها مخارج الحروف وصفاتها من همس وجهر وشدة ورخاوة ، والصوت في بنية الكلمة والقوانين الصوتية من قلب وإعلال أو حذف وإبدال وإدغام ومن الملفت للانتباه في هذا العمل ترتيبه للمعجم على أساس صوتي، بل هو صاحب الفكرة الرائدة في ترتيب الحروف حسب مخارجها، فوضع كل صوت موضعه وقد أقرت الدراسات العلمية المتخصصة بأجهزتها المتطورة والأدمغة المبدعة في أوربا أن هذا النهج لا يمكن تجاوزه والاحتفاظ بمسميات الخليل الصوتية، ولم تخالفه إلا في التقعيد لبعض المصطلحات « لقد هدي بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة أقر كثير منها علماء الأصوات المحدثون » [181]

لقد أدرك الخليل بحسه المرهف وذكائه المتوقد وصبره العنيف على الاستنتاج أهمية الصوت اللغوي حتى توصل إلى ما توصل إليه من نتائج وما ابتدعه وابتكره دون الاستعانة بالأجهزة العلمية المتطورة المستعملة حديثاً.

منهجية الخليل:

لقد استطاع الخليل بفطرته الصافية أن يصل الدرس الصوتي بالدراسات اللغوية الصرفية والنحوية، فأشار إلى أبعادها من ينابيعها الأولى،فجاء منهجه على المعايير الآتية :

- مراعاة الحروف الأصلية للكلمة دون الزوائد .
- ترتيب كلمات المعجم بحسب مخارج الحروف:لم يعتمد على الترتيب الألفبائي الهجائي المعروف (أ،ب،ت،ث،ج،ح.....) بل بحسب الترتيب الصوتي للحروف ترتيباً تصاعدياً من أقصى الحلق إلى الشفتين .
- اعتماد نظرية التقليبات أو نظام التقاليب.
- الترتيب الداخلي للكلمة ضمن مادتها اللغوية مع مراعاة الأبنية.

الأساس الصوتي :

---

[180] -أبو الطيب اللغوي " مراتب النحويين" ،تح :محمد أبو الفل إبراهيم ،دار نهضة مصر ،القاهرة ،دت ،ص 56

181- مصطفى السقا وآخرون –مقدمة تحقيق سر صناعة الإعراب، مكتبة مصطفى الحلبي، 1954. ج1، ص13.

لقد خالف الخليل الترتيبين الأبجدي والألفبائي في دراسته للأصوات اللغوية، فالأول اقتبسته العرب عن الفينيقيين، وهو ترتيب (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ). [182] فكان ترتيبه للحروف العربية وفق المخارج، فبدأ بأصوات الحلق، ثم باقي الحروف منتهيا بالحروف الشفوية، وختم ترتيبه بأصوات العلة والهمزة،فلم يبدأ بالهمزة أو الألف لما لاحظه من تغير صوتي يطرأ عليها، فبدأ معجمه بحرف "العين"باعتباره الصوت الحلقي الأول الذي لا يتغير في الأبنية الصرفية،ولا لأنها أول الحروف مخرجا، ولكنها أول الحروف نصاعة وثباتا « وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف نحو(اب، أت، أث...)فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم.» [183]

الملاحظ أنّ الخليل كان يدخل الألف على الصامت الساكن ليكون بذلك الألف عمادا لأن اللسان أثناء النطق بالساكن من الحرف يعمد إلى ألف الوصل ،فالعرب لا تبدأ بساكن .

رتّب الخليل معجمه على أساس صوتي متميز متتبعا مسار الصوت في الجهاز النطقي مستعملا العديد من المصطلحات التي تشير إلى مواضع توقف الصوت ،وهي : الحيز والمدرج ،والمبدأ ،والمخرج ،فجعل للحروف العربية ستة عشر مخرجا بدءا من أقصى الحلق إلى الشفتين مبتدئا بالعين ومن هنا جاءت التسمية لهذا المعجم ،وقد وزع "العين" على أبواب باب لكل حرف من حروف الهجاء ،وفي داخل كل باب عرضت تقليبات ذلك الحرف مع جميع الحروف الهجائية الأخرى لمعرفة الجذور التي تشتمل على ذلك الحرف مراعيا في ذلك أصول الجذور الثنائية والثلاثية ،والراعية والخماسية فقال «فالعين والحاء والهاء والغين حلقية، لأن مبدأها من الحلق».

واعلم أنّ الحروف الذلقية والشفوية ستة ،هي : الراء ،واللام والنون، والفاء، والباء والميم وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما (مدرجتا) هذه الأحرف الستة ومنها ثلاثة ذلقية : الراء ،واللام ،والنون ،تخرج من ذلق اللسان من طرف اللسان من طرف غار الفم ،وثلاثة شفوية : الفاء والباء والميم مخرجها من الشفتين خاصة ...والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأها من اللهاة.

---

[182]-ينظر رمضان عبد التواب"المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي"،مكتبة خانجي-القاهرة، ط3،1997،ص14-15.

[183] -الخليل بن أحمد الفراهيدي "العين "،تح مهدي المخزومي.إبراهيم السامرائي،دار مكتبة الهلال، ج1،ص47

والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم
والصاد والسين والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان.
والطاء والتاء والدال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى .
والظاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة .
والراء واللام والنون ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان.
والفاء والباء والميم شفوية، لأن مبدأها من الشفة.
والباء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد،لأنها لا يتعلق بها شيء»[184].

إن هذا النظام الفريد في ترتيب حروف المعجم العربي على أساس صوتي يؤكد لنا حسه الدقيق ومعرفته الدقيقة بان اللغة منطوقة قبل أن تكون مكتوبة، ولعل هذا ما تتفق فيه اللغات جميعها، واعتمد في ذلك على تذوقه للحروف وبحث عن أعمق الأصوات في المخرج، فوجد الهمزة لكنه لم يبدأ بها لأنها لا تستقر على حال ومتقلبة ولا صورة ثابتة لها سواء في النطق أو الكتابة، ثم قارن بين العين والحاء فوجد أن العين أنصع وأوضح في النطق من الحاء فبدأ بها.[185] وقال ابن كيسان (ت299هـ) سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال « لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولابالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة،ولا بالهاء لأنها مهموسة ففيه لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء، فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف.»[186]

لا يخفى إذاً أن الدرس الخليلي الصوتي يدل على عبقرية صاحبه خاصة من خلال التقسيم الفيزيولوجي والتصنيف الدقيق بحسب مخارجها مما يدل على إمكانياته وريادته دون أن يكون لديه شيء من الإمكانات الحديثة من آلات تسجيل أو تصوير أو معرفة بنظريات التشريح[187].لذلك فقد كان صحيحا ما توصل إليه محقق كتاب العين « إن في المقدمة منه بواكير معلومات صوتية لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلا بعد قرون عدة من عصر الخليل»[188] ولا يكتفي الخليل بتصنيف الأصوات، أصوات الشفة، أصوات الحلق، أصوات الأسلة، بالنظر إلى مخارجها، بل يصف هيئاتها من المدرج وما يصطدم بها من أجهزة النطق، أو يتجاوزها باندفاع

---

[184]-المصدر السابق، ج1،ص58

[185]-ينظر حسين نصار "المعجم العربي "،ج1طبعة مكتبة مصر، ص219.

[186]- السيوطي "المزهر"، تح جاد المولى وآخرون،دار إحياء الكتب العربية، دت، دط.ج1،ص90

[187]-ينظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص104-105

[188]-مقدمة التحقيق لكتاب العين، ج1،ص10

الهواء فيصفها، فمنها ما يخرج من الجوف وليس لها حيز تنسب إليه سواه ومنها ما يقع في مدرجة من مدارج اللسان، ومنها ما يقع في مدرجة من مدارج الحلق، وما يقع من مدرج اللهاة، وما هي هوائية كالألف اللينة والواو والياء .[189].لقد تمكن الخليل بحسه الصوتي وملاحظاته الدقيقة أن يدرأ الدخيل والمعرب والمولّد والمحدث والمبتدع عن لغة العرب يقول الخليل في هذا الشأن « فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب لأنك لست واجداً من كلام العرب لكلمة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق أو الشفوية واحدا أو اثنان أو أكثر .»[190]

قال الليث، قلت: كيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف ؟ فقال :نحو" الكشعثج والخضعثج والكشعطج وأشباههن"فهي مولدات لا تجوز في كلام العرب، لأن ليس فيهن شيء من حروف الذلق أو الشفوية .[191]

لقد تمكن الخليل من وصف المادة الصوتية خاصة وصفا علميا دقيقا أثبتت المخابر الصوتية المتطورة الحديثة أمانتها ،وهو –في رأينا- دليل ثابت على ذكاء الخليل الثاقب ودقة ملاحظاته وعبقريته الفذّة،وحسبنا دليلا على ذلك ازدهار حركة التأليف المعجمي من قبل العديد من العلماء ولكنها لم تخرج عن النمط الذي اعتمده الخليل بن أحمد من حيث المادة المعجمية أو طريقة البحث في الأصوات اللغوية ،ومن هؤلاء أبي علي القالي في معجمه " البارع في اللغة " والأزهري في " تهذيب اللغة " الذي اعتمد بشكل بيّن على المنهج الخليلي مع التزام الترتيب الصوتي للمخارج الذي ابتكره الخليل في معجمه "العين " مراعيا نظام التقاليب .فقال : « إنّه لم يجد أصوب ولا أوفى من مقدمة العين التي وضعها الخليل ولذلك سيعتمد عليها وينقلها بين يدي كتابه، وقد بدأ بحرف العين احتذاء بالخليل.. » [192]

إن الدارس لمقدمة كتاب العين يدرك هذا الإبداع والدقة المتناهية في وصفه لمخرج كل صوت، وليس هذا فحسب، بل المقارنة بين بعض الأصوات، فاكتسب بحق صفة الريادة في هذا المجال، يقول الدكتور أحمد محمد قدور « وليس بين أيدينا دليل يشير إلى أن أحدا تقدم الخليل في هذا المجال، لذلك يعد الخليل رائدا لهذا العلم كريادته لعلوم اللغة والعروض عند العرب بلا منازع »[193].لقد تمكن من تقديم

---

[189]-ينظر الخليل "العين "،ج1، 53-57

[190]-الخليل "العين "،ج1،ص52

[191]- ينظر المصدر نفسه، ج1،ص52ومابعدها

[192] - الأزهري " تهذيب اللغة " ،تح :عبد السلام هارون ،1967

[193]- أحمد محمد قدور "اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي "، دار الفكر دمشق، سوريا، ط1 2001، ص42.

العشرات من المصطلحات في علم الأصوات،أدركها العلم الحديث بوسائله المختلفة المتطورة « تضم المقدمة في طبعة الأستاذين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي بحسب إحصائيا نحوا من مائة وسبعين مصطلحا في مجال علم الأصوات بفروعه المختلفة »[194]

ويمكن أن نستنتج مما سبق أن للعرب إسهامات مثمرة في الدراسات الصوتية في غاية الدقة وهذا يفند ادعاءات المستشرقين وحتى بعض الباحثين العرب، أن هذه الصوتيات العربية بشتى فروعها متناثرة بالبحوث التي ضمتها الحضارات الإنسانية المتعاقبة، كالهنود واليونان « ولقد تبين لي حين عملت في مقدمة كتاب "العين"للخليل أن كل المصطلحات التي استعملها الخليل ترجع إلى أصول لغوية معروفة عند العرب ومدونة لدى اللغويين، وينطبق هذا على كل ما يتصل بجهاز النطق انطباقا تاما »[195] وليس هذا فحسب،بل لقد تبوأ الخليل بهذا الوصف العلمي منزلة يضاهي بها ما توصلت إليه الدراسات في وصف جهاز النطق و أعضائه، وقد أشرت إلى ذلك بعض الإشارات في وصفه لهذا الجهاز، لكن هذا الوصف لم يتعرض فيه إلى الوترين الصوتيين *وإبراز وظيفتهما أثناء عملية إصدار الأصوات ولا ضير «لكن هؤلاء جميعا لم يعرفوا الوترين الصوتيين، لأنهم اعتمدوا على الملاحظة وتتبع الأثر ،ولم يعتمدوا على التشريح التي يعد من المجالات الطبية المتطورة في الوقت الحاضر ،لأنه باختصار لم يكن في متناولهم ،لكن الذي يقف عنده الباحث ،وتمتلكه الحيرة والغرابة هو أن الطبيب ابن سينا الذي قدم وصفا تشريحيا للحنجرة لم يشر ولو بكلمة واحدة إلى الوترين الصوتيين ويبدو أن علماء العربية القدماء من خلال دقة الملاحظة ،قد عرفوا أهميتهما أي الوترين الصوتيين في عمليتي الجهر والهمس[196]

---

[194]-نفسه، ص42-43.

[195]-نفسه،ص56.

* هما رباطان مرنان يشبهان الشفتين،ويمتدان أفقيا من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند ذلك البروز المسمى "تفاحة آدم ".ويذهب علماء الأصوات أن استعمال كلمة وتر أو حبل هو استعمال غير صحيح، فهما في الحقيقة شفتان موضوعتان وضعا متوازيا.

[196] -أحمد محمد قدور ،م-نفسه، ص72.

جدول المواقع الصوتية عند الخليل:

ا لرقم	المخرج	أصواته
01	الحلقية	ع،ح،هـ ،غ ،خ.
02	اللهوية	ق،ك.
03	الشجرية	ج ،ش ،ض.
04	الأسلية	ص،س ،ز.
05	النطعية	ط،ت ،د.
06	اللثوية	ظ،ذ،ث.
07	الذلقية	ر،ل ،ن.
08	الشفوية	ف،ب،م.
09	الهوائية	ا،و،ي ،أ.

- المنهجية الصوتية عند سيبويه(ت180هـ)*

* هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر الملقّب بسيبويه'ومعناه رائحة التفاح' ولد بالبيضاء، وهي أكبر مدينة في كُورة اصطخر بفارس سنة 148هـ،وقدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد(ت175هـ) الذي كان يفسح له صدره ويرى فيه الطالب الذي لا يبخل عليه، وكان يحبه حبا كبيرا. قال ابن النطاح:"كنت عند الخليل فأقبل سيبويه" فقال الخليل:"مرحبا بزائر لا يمل"، فعُدَّ سيبويه بذلك إمام النّحاة، وأوّل من بسط القول والتأليف فيه ، بعد أن تتلمذ على الخليل وأخذ عنه معظم كتابه (ت175هـ). وممن اشترك في صنع ثقافة سيبويه العلمية والنحوية على وجه الخصوص حمّاد سلمة بن دينار البصري(ت167هـ)الذي كان يستمليه الحديث والفقه وكان ممّن دفع سيبويه إلى حذق النحو بسبب تخطئته إياه في بعض المسائل النحوية واللغوية فقد ذكر حماد بن سلمة، انَّ سيبويه جاء إليه مع قوم يكتبون شيئاً من الحديث، فقال حماد "فكان فيما أمْلَيْتُ ذكر

لقد أشرنا فيما سبق أن الدرس الصوتي نشأ وترعرع وكانت معالجته ضمن قضايا لغوية أخرى كالنحو والصرف والبلاغة وغيرها، فقد كان لعلماء اللغة الأولين من أمثال الخليل وسيبويه وابن جني قصب السبق في التعرف على أعضاء النطق وما لها من تأثيرات في إصدار الأصوات .فهم وإن لم يبلغوا درجة الدقة التي وصل إليها المحدثون بالاعتماد على الآلات المتطورة في التشريح، فقد أدركوا وضعيات هذا الجهاز –كما بيّنا عند الخليل –في إنتاج الأصوات .

إن جهود صاحب الكتاب في المجال الصوتي –في الحقيقة- لا تبتعد في أغلبها عن مبتكرات الخليل، فنراه يوافقه تارة، ويخالفه تارة أخرى إذ أن أعضاء النطق بمقارنة بسيطة بين هذين العالمين الجليلين هي نفسها، وكذا بالنسبة لمدارج الحروف ويقصد بها الأصوات فقد نحا سيبويه منحى أستاذه الخليل، إذ تبدأ بأقصى الحلق، وتنتهي بالشفتين، فالشبه قاسم مشترك بينهما.[197]

الصفا عن رسول الله ﷺ". فقلت:" صعد رسول الله ﷺ الصَّفا". وهو الذي كان سيتمل فقال:"صَعِدَ النبي ﷺ الصفاء".فقلت:"يا فارسي لا تقل الصَّفَاء لأن الصفا مقصورة. فلما فرغ من مجلسهِ كسر القلم وقال:لا اكتُب شيئاَ حتى أحكم العربية!" وقال عبيد الله بن معاذ الغبري البصري (ت237هـ) :" جاء سيبويه إلى حماد بن سلمة، فقال :أَحَدثَكَ هشام بن عروة عن أبيه في رجل رَعُفَ في الصلاة؟ فقال حماد: أخطأت، إنماَ رَعَفَ. فانصرف إلى الخليل فشكى إليه ما لقيه من حماد. فقال:صدق حماد، ومثل حمّاد يقول هذا، ورَعُفَ لغة ضعيفة. والصحيح رَعَفَ."كما أخذ سيبويه بعض علمه عن أبي الخطّاب الأخفش الأكبر(ت177هـ)،وعيسى بن عمر الثقفي البصري (ت149هـ) وقد روى عنه سيبويه إثنين وعشربن مرّة.وقد أكثر سيبويه النَّقل في كتابه عن يونس بن حبيب الضبي(ت182هـ)،وكان معبراً له في الرواية عن أبي إسحاق الحضرمي(ت117هـ) وأبي عمرو بن العلاء(ت154هـ)، على نحو ما جاء في الكتاب. كما أخذ عن وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري(ت215هـ). قال القفطي:"كان شديد الأخذ». فبينما هو يستملي حديث النبي ﷺ "ليس من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدَّرداء" فقال سيبويه :"ليس أبو الدّرداءِ" وظنه اسم ليس. فقال حماد "لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما"ليس" هاهنا استثناء"! فقال:"لا جرم سأطلب علماً لا تلحني فيه" فلزم الخليل فبرعَ.هذا ولسيبويه كثير من المناظرات أهمها تلك التي جمعته بالكسائي(189هـ) الذي كان على رأس الكوفة واشتهرت بالمسألة الزُّنْبُورية. كان شابًّ نظيفاً جميلاً، وكان في لسانه حُبْسَة وقلمُه أبلَغُ من لسانه. أما عن تاريخ ومكان وفاته فقد اختلف فيهما غير أنّ أرجح الأقوال ترجع وفاته إلى سنة 180هـ بمدينة البَيْضاء.

[197]-ينظر سيبويه"الكتاب"، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992،ج2،ص405

إن المتمعن في" الكتاب" لسيبويه يستطيع استخلاص بعض الفرق في ترتيب الحروف بينه وبين الخليل .فقد بدأ سيبويه بالهمزة والألف والهاء، وقدم الغين على الحاء وأخر القاف عن الكاف إلى غير ذلك من المسائل المختلف فيها .وتحدث سيبويه في " كتابه" حديثا مطولا عن الأصوات العربية ،ومخارجها وصفاتها فقال « هذا باب عدد الحروف العربية،ومخارجها و مجهورها ،وأحوال مجهورها ،ومهموسها واختلافها...»[198]

ترتيب الحروف:

جاءت دراسة سيبويه للأصوات أوفى وأكثر دقة وشمولية، فقسم الأصوات إلى أصول وفروع جيدة ورديئة بعد أن أحصاها عدا فكان ترتيبه على هذا الشكل:

فللحلق منها ثلاثة :1- فأقصاها مخرجا :الهمزة والهاء والألف .

2- ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء .

3- وأدناها مخرجا من الفم ،الغين والخاء.

4- ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ،مخرج القاف.

5- ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى ،مخرج الكاف.

6- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ،مخرج الجيم ،والشين والياء.

7- ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ،مخرج الضاد.

8- من بين أول حافة اللسان ،من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليهما من الحنك الأعلى ،وفويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، مخرج اللام.

9- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا ،مخرج النون.

10- من مخرج النون ،غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام،مخرج الراء.

11- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ،مخرج الطاء ،والدال ،والتاء.

12- ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا ،مخرج الزاي ،والسين ،والصاد

13- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا ،مخرج الظاء ،والذال ،والثاء.

14- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى ،مخرج الفاء.

15- ومما بين الشفتين ،مخرج الباء ،والميم ،والواو.

---

[198]-نفسه ،ص 405

16- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة.[199] ثم يضيف إلى الحروف الأصلية ستة حروف فرعية مستحسنة حيث يقول :« وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة لا يأخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي :النون الخفيفة والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم والصاد التي كالزاي، وألف التفخيم ...»[200].ثم أضاف سبعة حروف أخرى فرعية فيها الجيدة والرديئة « وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والضاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء.»[201].ومن العلماء المحدثين من رأى أنّ تقسيم سيبويه لمخارج الحروف فيه شيء من الغموض ،وعدم الوضوح في بعض الأحيان ،حيث نجد أنّ مخارج بعض الحروف متقاربة وغير واضحة .[202]

لقد استطاع سيبويه أن يحدد لكل مجموعة من الأصوات مخرجاً معيناً، وقدم له وصفا دقيقاً، وبذلك يكون قد خالف أستاذه الخليل في نظرته إلى مخارج الحروف، فأحصاها سيبويه ستة عشر مخرجاً كما تقدم *،بل إنّ ابن جنيّ (392هـ)انتقد ترتيب الخليل للحروف العربية ،فقال: «فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خللٌ واضطراب ،ومخالفة لما قدّمناه آنفاً ،ممّا رتبه سيبويه ،،وتلاه أصحابه عليه ،وهو الصّواب الذي يشهد التأمّل له بصحته. »[203].ولقد نحا نحو سيبويه الكثير من العلماء واللغويين في ترتيبهم لمخارج الحروف ومنهم ابن السراج [204]،وابن جني ،والسكاكي [205] ،وابن يعيش [206] وغيرهم .غير أنّ الاختلاف بين العلماء العرب القدماء في هذه المسألة مرّدهُ –في نظرنا- إلى اعتماد هؤلاء العلماء الأفذاذ على الملاحظات الذاتية والمشاهدات البسيطة لعملية نطق هذه الأصوات لتحديد مخارجها

---

[199]-ينظر سيبويه"الكتاب"،ج2،ص405

[200]- المصدر نفسه، ص431

[201]- المصدر نفسه، ص432

[202] -ينظر:رمضان عبد التواب 'المدخل إلى علم اللغة ' ،ص32

* إن سيبويه وهو يتناول موقعيات الأصوات اللغوية ،لم يقدم شرحا مستقلا ومنفصلا للجهاز النطقي أو التصويتي مستقلا عن حديثه عن الصوامت.

[203] -ابن جني ' سر صناعة الإعراب' ،51/1

[204] -ابن السراج ' الأصول في النّحو' 401/3

[205] -السكاكي ' مفتاح العلوم' ،ص 5

[206] -ابن يعيش ' شرح المفصّل 125/10

،بعيداً عن المبتكرات الحديثة في علم الأصوات خاصة الجانب التشريحي ،التي من شأنها أن توفر الدّقة والموضوعية ،يقول صبحي الصالح معلّلاً : «فالنون مثلا تسمى عند بعضهم ذلقية ،لأنها تخرج من ذلق اللسان،وخيشومية تارة أخرى،حيث ينطق بها من الخيشوم .ولو أخذت برأي واحد منهم ،وقنعت بتقسيماته واصطلاحاته لما وجدته يخلط أو يناقض نفسه ... »[207]

ومن المسائل الواجب التنبيه إليها في هذا المقام - بناءً على ما تقدّم- هي الفرق بين العَلَمَين (الخليل وسيبويه) في ترتيبهما لمخارج الحروف،إذ جعل الخليل الهمزة أقصى الحروف مخرجاً ،ثمّ الحاء والهاء والعين من مخرج واحد ثم الغين والخاء من مخرج واحد ،لكن سيبويه جعلهنّ من ثلاثة مخارج لكنه أضاف إلى الهمزة الهاء والألف ،في حين أسقط الخليل الألف من الحيز الحلقي ،وألحقها بالمخرج الهوائي.

وحتى لا يظن بنا ظانٌ –من خلال هذه المقارنات البسيطة- أننا نبخس الجهود العربية القديمة في علم الصوتيات قدرها وشأوها ،بل على العكس من ذلك تماماً فإننا نُثمّن هذه المجهودات المعتمدة على الذوق والحسّ اللغوي والملاحظات والمشاهدة الذاتية وننحني لهذه الأعمال إجلالا وإكباراً.يقول صبحي الصالح في هذا السمت : « لسنا نزعم طبعاً أنّ الدراسات القديمة لم تعد بالفائدة على الأبحاث اللغوية ،فما يجرؤ على مثل هذا القول باحث منصفٌ .ومن ذا الذي ينكر على علماء الأصوات دّقتهم في ملاحظة المسموعات وتسجيلها بالأجهزة والآلات ولم يكن شيء من هذا متيّسراً لعلمائنا المتقدّمين لدى دراستهم الأصوات وكيفية خروجها من أعضاء النطق وما يعتريها من التّغيّر وما يصيبها من الانحراف ،وجاءوا مع ذلك بوصفٍ دقيقٍ لجهاز النطق ووظائف أعضائه فكانوا أول الرواد لعلم الأصوات ،وعلى الكثير من ملاحظاتهم بُنيت المباحث الحديثة في مخارج الحروف وصفاتها . »[208]

إذاً لقد بدا واضحاً –حين المقارنة- أن الدراسات الحديثة في المجال الصوتي والبحوث قد استفادت كثيرا من جهود هؤلاء العلماء ، ولا عجب، أن يشيد بفضلهم العديد من الباحثين في هذا الحقل المعرفي لأنّ الدرس اللغوي في الفترة الخليلية و السيبوية كان قد بلغ ذروته اللسانية [209]

---

[207] -صبحي الصالح ' دراسات في فقه اللغة ' ،ص 284

[208] -صبحي الصالح ' دراسات في فقه اللغة ' ،ص276

[209]-ينظر :عبد الجليل مرتاض "في رحاب اللغة العربية "، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004. ص09

جدول المواقع الصوتية عند سيبويه.

لرقم	المخرج	أصواته
1	أقصى الحلق	الهمزة والهاء والألف.
2	وسط الحلق	العين والحاء.
3	أدنى الحلق.	الغين والخاء.
4	من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى.	القاف.
5	من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى.	الكاف.
6	من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى.	الجيم ،والشين والياء.
7	من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس.	الضاد.
8	من بين أول حافة اللسان ،من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليهما من الحنك الأعلى وفويق الضاحك والناب والرباعية والثنية.	اللام.
9	من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا.	النون.
	من مخرج النون ،غير أنه ادخل فيظهر	الراء.

0	اللسان قليلا.	
1	مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.	الطـــــــاء ،والدال ،والتاء.
2	مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا.	الـــــــزاي ،والسين ،والصاد.
3	مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا.	الظـــــــاء ،والذال ،والثاء.
4	من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى.	الفاء.
5	مما بين الشفتين.	الباء ،والميم ،والواو.
6	من الخياشيم.	النـــــــون الخفيفة.

منهجية ابن جنيّ الصوتيّة:

لقد اجتهد ابن جنيّ(ت 392هـ) في الحديث عن الجهاز النطقي في كتابه"سر صناعة الإعراب " وذلك من خلال طريقة تعليمية ناجعة قلّما تعتمدها المنظومة التربوية التعليمية في الكثير من البلدان العربية ،وهي التمثيل ،فقال : «شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ،فإن الصوت يخرج مستطيلا أملس ساذجا ،كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ، وراوح بين عمله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ،فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة .ونظير ذلك وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا ،فإذا حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر ،فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين »[210]. وهذا التشبيه وما حمله من تعليل لوظيفة الجهاز النطقي ،وما يعترض الهواء الصاعد من الرئتين قد اعتمده العديد من الدارسين القدماء والمحدثين ومنهم ابن سنان الخفاجي الذي قال : «والحروف تختلف باختلاف مقاطع الصوت حتى شبه بعضهم الحلق والفم بالناي،لأنّ الصوت يخرج منه مستطيلاً ساذجاً فإذا وضعت الأنامل على خروقه ووقعت المزاوجة بينهما سمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه ،فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة سمعت الأصوات المختلفة التي هي حروف ولهذا لا

[210] - ابن جني " سر صناعة الإعراب " 08/1

يوجد في صوت الحجر وغيره لأنه لا مقاطع فيه للصوت وليس يحتاج إلى حصر الحروف التي يتعلق بها . »[211].

إنّ الضارب على أوتار العود –يقول ابن جني- إذا ضرب من غير أن يضغط على وتر سُمع له صوتٌ،فإذا ضغط على أول وتر سمع له صوت أخر ،فإن أدناها قليلاً سمع غير الاثنين ،ثمّ كذلك كلما أدنى أصابعه من أول الوتر تشكلت له أصداء مختلفة ،إلا أنّ الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهتزاً، ويختلف ذلك بقدر قوّة الوتر وصلابته ،وضعفه ورخاوته ،،فالوتر في هذا التمثيل كالحلق ،والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق، وجريان الصوت غفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع .[212] إنّ القولين السابقين كما ترى لا يختلفان إلاّ في القليل ،فكان قول ابن جنيّ –في اعتقادي- نبراساً للعلماء من بعده ،بل أصبح قاعدة علمية لا تحتاج التأويل أو النقاش .

إن المنهج الذي اعتمده ابن جنيّ في ترتيبه لأصوات الحروف لا يستقل عمّا وجدناه عند سيبويه في "الكتاب "،إذ جاء ترتيبه على النحو التالي: الهمزة والألف والهاء ،والعين والحاء والغين والخاء والقاف،والكاف والجيم والشين والياء ،والضاد ،واللام ،والراء ،والنون والطاء ،والدال والتاء،والصاد والزاي والسين ،والظاء ،والذال ،والثاء ،والفاء ،والباء والميم والواو، والغنّة أو النون الخفيفة.

قال ابن جنيّ في ترتيبه هذا : « فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصّعدها وهو الصحيح .وبين من اخذ بهذا الترتيب خلاف يظهر في ترتيب أصوات المخرج الواحد كمثل اختلافهم في أصوات مخرجي الحادي عشر والثاني عشر أي أصوات حروف الطاء والدال والتاء وأصوات حروف الصاد والزاي والسين ،واختلافهم في مخارج أصوات اللام والراء والنون . »[213]

أما مخارج الأصوات عند هذا العالم العربي الفذّ فكانت على الشكل التالي:

قال : « اعلم أنّ مخارج هذه الحروف ستة عشر :

ثلاثة منها في الحلق فأولها من أسْفله إلى أقصاه مخرج الهمزة والألف والهاء،هكذا يقول سيبويه ،وزعم أبو الحسن أن ترتيبها :الهمزة و ذهب إلى أن الهاء مع الألف ،لا قبلها ولا بعدها والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيبويه أنك متى

---

[211] - ابن سنان الخفاجي ' سر الفصاحة ' ،ص 19

[212] ينظر : ابن جني ' سر صناعة الإعراب' 908/1

[213] -ابن جنيّ" سر صناعة الإعراب 50/1.

حركت اللف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل ،فقلبتها همزة ،ولو كانت الهاء معك لقلبتها هاء وهذا واضح غير خفي.

ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء .

ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء .

ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف .

ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف .

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء .

ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ،إلا أنك إن شئت تكلّفتها من الجانب الأيمن ،وإن شئت من الجانب الأيسر .

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ،من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ،مما فُويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام .

ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون .

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا ،لانحرافه إلى اللام مخرج الراء .

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء .

ومما بين طرف الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين .

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء والذال والثاء .

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء .

ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو .

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة ،ويقال الخفيفة أي الساكنة فذلك ستة عشر مخرجا. »[214]

إن الباحث المتمعن لهذا لترتيب يدرك تمام الإدراك أن ابن جني على خطى سيبويه في إحصاء المخارج الصوتية ،فضلا عن حصرها في ستة عشر مخرجا،وهذا يدل على أن بعض المخارج يتكون فيها أكثر من صوت ولربما كان المخرج لصوتين (الغين والخاء مثلا أو أكثر (الباء ،الميم الواو) على الرغم أنّ المخارج كلها تقسم على :الحلق(ثلاثة مخارج).والفم ثلاثة عشر مخرجا .عموماً لقد اتفق الخليل وتلميذه في الكثير من المواطن ، قال ابن الجزري (ت 833هـ) في كتابه (التمهيد في علم التجويد): «مخارج الحروف عند الخليل سبعة عشر مخرجاً، وعند سيبويه وأصحابه ستة عشر، لإسقاطهم الجوفية. .. فللحلق ثلاثة مخارج لسبعة أحرف: فمن أقصاه الهمزة والألف؛ لأنّ مبدأه من الحلق، ولم يذكر الخليل هذا

[214] -ابن جني ،م نفسه 52/1.

الحرف هنا، والهاء، ومن وسطه العين والحاء المهملتان، ومن أدناه الغين والخاء»[215]

أما ابن سينا فيختلف في ترتيبه للحروف عن الخليل وسيبويه اختلافاً واضحاً،فجاء الترتيب المخرجي على الصورة التالية :

الهمزة/الهاء/ العين/ الحاء / الخاء/ القاف/ الغين/ الكاف/ الجيم/ الشين/ الضاد/الصاد/ السين/ الزاي/ الطاء/ التاء/ الدال/ الثاء/ الظاء/ الذال/ اللام/ الراء/ الفاء/ الباء/ الميم/ النون الخفيفة/ الواو الصامتة/ الياء الصامتة/ الألف المصوّتة.[216]

	مخارج الحروف		
الخليل	سيبويه	ابن جنيّ	ابن سينا
ع	ء	ء	ء
ح	هـ	ا	هـ
هـ	ا	هـ	ع
خ	ع	ع	ح
غ	ح	ح	خ
ق	غ	غ	ق
ك	خ	خ	غ
ج	ق	ق	ك
ش	ك	ك	ج
ض	ج	ح	ش
ص	ش	ش	ض
س	ي	ي	ص
ز	ض	ض	س
ط	ل	ل	ز
د	ن	ن	ط
ت	ر	ر	ت
ظ	ط	ط	د
ذ	د	د	ث
ث	ت	ت	ظ
ر	ز	ص	ذ

[215] -ابن الجزري "التمهيد في علم التجويد' ،ص113

[216] ينظر: ابن سينا ' أسباب حدوث الحروف ' 126/4

ل ن ف ب م و ا ي ء	س ص ظ ذ ث ف ب م و	ز س ظ ذ ث ف ب م و	ل ر ف ب م ن خفيفة و صامتة ألـــف مصوّتة

مخارج الأصوات عند المحدثين :

من خلال تقصينا لمخارج الأصوات عند علماء العربية كالخليل وسيبويه،فقد لاحظنا- كما وضحنا- اختلافا رغم أنّ هذا الترتيب قد تم على أساس فيزيولوجي مخرجي بدءا بأقصى الحلق ووصولا إلى المخارج الشفوية.قال ابن الجزري :«...وقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا ،وعند من تقدمنا من المحققين ،كالخليل بن أحمد ،ومكي بن أبي طالب وأبي القاسم الهذلي ،وأبي الحسن شريح ،وغيرهم سبعة عشر مخرجاً وهذا الذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها ...»[217] .

إنّ القارئ للكتب الحديثة في مجال الصوتيات سيدرك هذا البون الشاسع بين علماء اللغة المعاصرين وعلماء العربية القدماء في ترتيب مخارج الحروف،وعددها .إذ أنّ ترتيبهم لحروف المعجم يبدأ غالباً من الشفتين إلى أقصى الحلق ،فكان ترتيباً تنازلياً،في حين أنّ القدماء كان ترتيبهم على العكس من ذلك تماماً ،فجاء من أقصى الحلق إلى الشفتين [218].

كما حصر العلماء المحدثون عدد المخارج الصوتية في عشرة مخارج ،وهو الغالب كما ذكرنا ،ودليلنا في ذلك التقسيم المقترح لكمال بشر في كتابه ' علم اللغة- الأصوات'،حيث قسّم المخارج إلى أحد عشر مخرجاً [219]وأشهر هذه المخارج :

1- الشفوية(الباء،الميم،الواو)

---

[217] -ابن الجزري " النشر في القراءات العشر "199-198/1

[218] -ينظر ترتيب الحروف عند الخليل وسيبويه وابن جني وابن سينا...

[219] -ينظر :كمال بشر 'علم اللغة –الأصوات'،ص89-90

2- الشفوية الأسنانية(الفاء)
3- الأسنان مع طرف اللسان(الذال ،الثاء،الظاء)
4- الأسنان و اللثة مع طرفي اللسان ومقدّمه(الدال،التاء،الضاد،الطاء، السين،الزاي،الصاد)
5- اللثوية(اللام،الراء،النون)[220]
6- الغاريّة(الشين،الجيم،الياء)[221]
7- الطبقيّة(الغين،الخاء)
8- اللهوية(القاف)
9- الحلقيّة(الحاء،العين)[222]
10- الحنجريّة(الهمزة،الهاء)[223]

ومن العلماء المحدثين من رجع أدراجه إلى عهد الخليل وسيبويه ، وانطلق من جديد يحاول التجديد « ولّما يصلْ بعدُ ؛وجماعة سارت إلى الأمام تغترف من الدراسات الأجنبية بالنقل،عن طريق الترجمة إلى العربية بغير العربية ،في أكثر أعمالها ،ولما يستقر أمرها على حال بعد.»[224]

وقد رتّب المحدثون الحروف حسب ترتيب العلماء القدماء، وعدّوها حسب عدّهم، ومنهم علي عبد الواحد وافي في كتابه 'دراسات في فقه اللغة' ،وجاء في فصل من فصول هذا الكتاب حديث عن اللغة العربية فتحدث عن أصواتها ،من حيث مخارجها وصفاتها ،وفيها قال : «للأصوات العربية نحو خمسة عشر مخرجاً . »[225]فكانت الأصوات مرتبة على ما جاءت عليه عند سيبويه مع بعض الاختلافات .

عموماً لقد تمكنت الدراسات الصوتية الحديثة من التوصل إلى نتائج علمية دقيقة في تحديد المخارج الصوتية وتحديد صفاتها ،وتقديم التفسيرات العضوية والفيزيولوجية لها ،وهذا بفضل المخابر الصوتية المتطورة والتقنيات الحديثة.وان هذا الاختلاف بين القدماء والمحدثين في هذا الباب ما هو إلاّ اختلاف يمكن غضّ الطرف عنه ،لأنّ مجال الاتفاق أوسع وأرحب من مجال الخلاف.وفيما يلي حوصلة للمخارج الصوتية عند العلماء المحدثين.

---

[220] -ينظر : عبد الرحمن أيوب 'أصوات اللغة' ،ص203

[221] -ينظر :أحمد مختار عمر'دراسة الصوت اللغوي'،ص271

[222] -ينظر: محمود فهمي حجازي' مدخل إلى علم اللغة'، دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة، ط2،1978،ص55

[223] -ينظر :كمال بشر علم اللغة-الأصوات'،ص 90

[224] -مكي درار ' المجمل في المباحث الصوتية ' ،ص 43

[225] - علي عبد الواحد وافي ' دراسات في فقه اللغة' ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،ط6 (دت)، ص158

لرقم	المخرج	الأصوات
1	الشفوية المزدوجة (Bilabiales)	الباء ،الميم ،والواو.
2	الشفوية الأسنانية (Labiodentales)	الفاء .
3	بين الأسنانية (Interdentales)	الظاء ،الذال والثاء.
4	الأسنانية اللثوية (Apicale Alvéolaires)	الضاد، الدال، الطاء، التاء، الزاي والصاد، والسين
5	اللثوية السائلة (Alvéolaire Liquide)	اللام ،الراء ،والنون.
6	الغارية الأمامية(Prépalatales)	الشين ،الجيم والياء.
7	الغارية الخلفية (Postpalatale)	القاف.
8	الطبقية (Vélaires)	الكاف ،الغين ،والخاء.
9	الحلقية (Pharyngales)	العين ،الحاء.
0	الحنجرية (Laryngales)	الهمزة ،والهاء.